

پژوهشنامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
ماهنامه علمی - پژوهشی، سال هجدهم، شماره یازدهم، بهمن ۱۳۹۷، ۳۷-۵۹

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة للأزهر الزناد

ناديا دادبور*

محمد خاقاني اصفهاني**

الملخص

القراءات النقدية المتواجدة في الحقول المختلفة تكشف للمخاطب عن مدى فاعلية النص المدروس وتبين المميزات الإيجابية والسلبية التي يقع فيها، فالرؤية الناقدة منطلق بناء يصلح فجوات الطريق وشرخاتها التي تؤدي إلى الفتور. أما الكتب البلاغية فهي لا تكون بمعزل عن هذه التقييمات وجعلها على خشبة النقد تعطي أكلها ضعفين من زاويتين، زاوية معلوماتية؛ فرصد ما ورد فيها يسفر عن المعلومات الحديثة ويبين العلاقة التي يتمكن من إقامتها بين سائر النتاج البلاغي، وزاوية أخرى تتعلق بالدراسات الأكاديمية وإزاحة الستار عن الآليات الموظفة في هذه الكتب لتعليم البلاغة.

فاستهدف هذا البحث القيام بالقراءة النقدية في الكتاب دروس في البلاغة العربية للأزهر الزناد لبيان المستويات التقييمية فيه من زاويتي الحصاد البلاغي والدرس الأكاديمي وذلك على أساس المنهج التوصيفي.

استنتجت هذه الدراسة أن الكتاب دروس في البلاغة العربية مزج بين البلاغة القديمة والمعطيات الدرس البلاغي الحديث مزجاً بسيطاً ويغلبه الطابع التقليدي وإنه يستأهل بأن يكون مادة دراسية في المستويات الأكاديمية الدنيا كما أنه يمكن أن يعتبر مادة فرعية في الدراسات الأكاديمية العليا والجدير بالذكر أن الباحث رغم محاولته في تبيينه لتضافر البلاغة التقليدية والبلاغة الحديثة تغافل عن بعض القضايا الرئيسية التي طرحته البلاغة القديمة.

الكلمات المفتاحية: القراءة النقدية، البلاغة، الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية.

* طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات، جامعة أصفهان (الكاتب المسؤول)

** أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها كلية اللغات، جامعة أصفهان، m.khaqani@fgn.ui.ac.ir

تاريخ دریافت: ۱۳۹۷/۷/۱۴، تاریخ پذیرش: ۱۳۹۷/۱۰/۲۵

١. المقدمة

١.١ تحديد المسألة

البلاغة العربية التقليدية محطة للكثير من النقاشات التي تشيد براية البلاغة الحديثة، هي التي تحط من شأن البلاغة التقليدية وتقول بموتها؛ وهنالك من يقول بالتزواج المنطقي بين البلاغة الحديثة والبلاغة التقليدية من دون أن يرجح كفة ميزان إحداهما على الأخرى. فمن هؤلاء الذين توسطوا بين قديم أمر البلاغة وحديثها هو الأزهر الزناد في كتابه *دروس في البلاغة العربية*، نحو رؤيته جديدة. هذا الكتاب وضعه كاتبه لأهداف دراسية أكثر من الأهداف العلمية البحتة وهو ثمرة لما حصل عليه المؤلف من خلال تدريسه للبلاغة فالكتاب، كتاب دراسي أكثر من أن يكون كتاباً تنظيرياً بحثاً قائماً على أطر معلوماتية خاصة إلا أنه يرمي العصفورين بحجر واحد، فإذا به فاتحاً نافذة نحو وجوه التضافر والتزواج بين البلاغة الجديدة والحديثة، في حين أنه يبني حجراً أساسياً لتدريس البلاغة لطلاب البلاغة التي لا تكون حكرًا على القديم وأبوابها المرصودة ولا تكون منتمية انتماء تاماً نحو الجديد حيث تُدسُّ البلاغة القديمة على هون في ترابها.

٢.١ هدف البحث

استهدف هذا المقال إلقاء نظرة نقدية على الكتاب «دروس في البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة» للأزهر الزناد؛ ليرصد الجوانب الإيجابية والسلبية التي تميز بها هذا الكتاب من ناحية الشكل والمضمون، بغية الكشف عن مدى فاعلية الكتاب في الأوساط العلمية والأكاديمية.

٣.١ ضرورة البحث

الكتب البلاغية التي تعتبر مادة دراسية كجواهر البلاغة والمختصر وغيرها من الكتب تتعلق بالنحو التقليدي ولا تفتح آفاقاً مستجدة أمام المتلقي؛ وهنالك حاجة ماسة وفراغ قاتم بالنسبة إلى الكتب البلاغية الدراسية التي تحلّق في الفضاءات الجديدة رغم تحفظها على القديم ليطلع الطالب على كلا الاتجاهين، القديم والحديث بصورة متوامة وهذا ما قام به الأزهر الزناد في كتابه *دروس في البلاغة العربية* فالقراءة النقدية للكتاب تبين مدى نجاح المؤلف في إملاء هذا الفراغ وتسفر عن دور الكتاب في الأوساط العلمية والأكاديمية.

٤.١ أسئلة البحث

الأسئلة التي حاول البحث الإجابة عنها عبر القراءة النقدية للكتاب في الإطار الخارجي (الشكلي) والإطار الداخلي (الفحوى)، هي:

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٢١

١. كيف تتبين الأطر الشكلية والكيفيات الداخلية للكتاب دروس في البلاغة العربية بصفته كتاباً دراسياً؟

٢. كيف تتبين درجة شمولية الكتاب؟

٣. وما هي التقنيات التي وظفها الكاتب ليحقق صورة جامعة للكتاب؟

٥.١ خلفية البحث

الكتب البلاغية من أهم الكتب في ساحة النقد ولذلك وجّهت إليها أسهم النقد من كل جانب و صوب، فكلّ هذه الدراسات التي جعلت النقد البلاغي محوراً الأساس، تعد خلفية لدراستنا هذه؛ منها: كتاب *دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة* لمحمد فاضلي؛ درس في كتابه قضايا بلاغية هامة ورصد مراهاها وقام بنقدها والفك عن شيفراتها. ومقالة «بررسی و نقد کتاب البلاغة وتحليل الخطاب» لـ محمد خاقاني؛ قام فيه الباحث بدراسة نقدية للكتاب. وقد عمل سيد محمد رضا ابن الرسول والآخرون في مجال نقد الكتب البلاغية في مقال لهما المعنونة بـ «نقد وبررسی کتاب البلاغة والتطبيق» وقد أبلوا بلاء حسناً في هذا المضمار.

وهناك مصادر تخصص ساحة النقد البحث؛ منها: كتاب *أصول نقد النصوص ونشر الكتب* لمحمد حمدي البكري؛ يبين فيه الكاتب الأسس المنهجية التي على الناقد أن يتبعها ليقدّم تقدماً قيماً مستقيماً. وكتاب *نقد ونقد كتاب* تأليف مؤسسة خانه كتاب؛ هذا المؤلف يقدم نموذجاً متكاملًا عن كيفية النقد ويدرب قارئه على الولوج في خضم الميادين النقدية وساحاتها.

أما في ساحة التطبيق فيمكن الإشارة إلى رسالة الماجستير المعنونة بـ «الكتاب المدرسي للتلميذ الجزائري في المستوى الابتدائي - كتاب القراءة للسنة الخامسة نموذجاً - دراسة تحليلية نقدية» لإعداد سعدى فضيلة وطاوس صادقي. ومقالة تحت عنوان «تحليل محتوى كتب القواعد النحوية في المراحل الدراسية في الجمهورية العربية السورية»، لعائشة حوري؛ حيث بينت فيها الباحثة كيفية نقد الكتب الدراسية وأعطت خير نموذج أضاء الطريق أمام البحث. والكتاب «نقد وبررسی کتاب طراحي آموزش اثريخس» لسيد عباس رضوي. فهذه الدراسات وما يماثلها من البحوث تسعى لإعطاء المفتاح الذهبي بيد الناقد ليحصل على النجاح في عمله النقدي.

أما ما ابتدعه هذه المقالة فيتجلى في أن الكتاب دروس في البلاغة العربية لم يتطرق أحد إلى نقده وهو كتاب بلاغي حديث يستأهل بأن يكون مادة دراسية تدرس في الجامعات، والتعرف على جوانبه الإيجابية والسلبية لا يخلو من الفائدة.

٦.١ منهج البحث

المنهج الذي تتبعه الباحث في هذه المدوّنة توصيفي تحليلي؛ يستأنف مهمته بنظرة يسيرة إلى السيرة العلمية للأزهر الزناد ثم يوجّه اهتمامه نحو هندسة الكتاب وهندامه ليتابع النقد الخارجي الشكلي ويستمر في نقده نحو الاتجاه الداخلي بتبيين فحوى الكتاب؛ والمطاف الأخير هو استجلاء الرؤية النفسية للكتاب وتبيين مدى توظيفه للتقنيات النفسية التعليمية.

٢. السيرة العلمية للأزهر الزناد

الأزهر الزناد أستاذ في جامعة المنوية بكلية الآداب في الجمهورية التونسية له أعمال ملحوظة في حقل اللسانيات الحديثة منها:

المعجم في اللغة العربية: تولّده وعلاقته بالتركيب، واللسانيات العرفيّة واللغة العربيّة، واللغة والجسد، ونظريات لسانيّة عرفيّة، واسترسال الصّوت، واسترسال الدلالة: مقولة الجمع نموذجاً، والاشتراك بين المعجم والنحو: المنوال الاحتمالي في تكوّن المعجم وانتظامه؛ مجلة المعجميّة، وظاهرة الاتّساع في الدلالة المعجميّة، والقراءة بين الكلمات: بحث في تجليات البنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة من خلال الخطاب الإشهاريّ لدى الباعة المتجولين، الحياة الثقافيّة (تونس)، ونظريّة عروضيّة في الصّرف التّفريعي؛ بقلم: جون ماككارثي، واللّسانيات في قلب المسيرات: الشّعارات خطاباً طقوسياً، مؤتمر لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب (الدّورة الثالثة)، وحركية المعنى في المزيج: الكاريكاتور نموذجاً، ندوة: الدلالة، النظريات والتطبيقات، ولعبة المرايا في التّصوير الذّهني: التّمثيل في البلاغة العربيّة نموذجاً. ندوة: حازم القرطاجنيّ، والتّصوير الذّهني باللّغة: المظهر في اللّغة العربيّة نموذجاً. ندوة: تجديد الدّراسات اللّسانيّة: الحاصل والآفاق، الجسد الفضاء - الفضاء الجسد: في تمثيل الزّمان والمكان في أيام طه حسين ندوة تجديد البلاغة العربيّة، النصّ المضمّر - النصّ المظهر: في أنّ الاجتماع الانسانيّ ضروريّ لابن خلدون نموذجاً. ندوة: النّصّ وعتباته، جموع التّكسير: مقارنة عرفيّة، الأسس العرفيّة في الإنحاء: العنصر الإشاريّ |ت| نموذجاً، ندوة: «الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللّسانية والتداوليّة» (راجع: ٢٠١٠: <https://sites.google.com/site/lazharzanned>).

٣. فحوى الكتاب وموضوعه

البؤرة الرئيسيّة التي تطرق إليها الكتاب دروس في البلاغة العربيّة، نحو رؤية جديدة هي تعليم البلاغة التقليديّة للطلاب بأسلوب حديث إلا أنه قصد المزج بين الرؤية البلاغية القديمة والحديثة

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٢٣

لثلا يكون التعليم تعليماً عقيماً يُجَنَزِر المتلقى في زلزلة البلاغة التقليدية التي أكل الدهر عليها وشرب. والكتاب يريد فتح نافذة جديدة أمام الدارس وهو يتضمن أهم القضايا البلاغية البحتة التي لا تلتقى بالدرس النحوي في شيء، فوضعه المؤلف الأزهر الزناد في أبواب ثلاثة مُصَدِّراً علم البيان ثم المعاني ثم البديع.

ويبين أنه لم يعالج القضايا التركيبية من الوجوه الإسنادية وغيرها لأنها في معتقده تتعلق بعلم النحو؛ ويدعى في مقدمة كتابه أنه انتهج منهج درس البلاغى القديم وأنه طعمه ما استطاع بمعطيات درس اللسانى الحديث وبيّن غايته بأنها «إنارة تلك المسائل ببعض المبادئ اللسانية حتى تكون أوضح» (الزناد، ١٩٩٢: ٥). والمهام في عمله هذا، هي الإفادة، فيتمكن الدارس إثرها من استيعاب عمل الخطاب استيعاباً غائراً في عدة مستويات؛ هي: النحوية، والصرفية والبلاغية الأدبية. تتجم هذه الرؤى عن معتقد يقول بدور المستويات المتباينة في إكمال قراءة النصوص ولاسيما الأدبية منها.

يبرر الكاتب أسلوبه في مزاجية التنظير والتطبيق، على أنه يمكن الدارس في الربط بين الواجهة النظرية وبين الأدبية أو الجمالية في النص الأدبى. وقصد من وراء كل ذلك سد الفجوات الموجودة في أذهان الناشئين في البلاغة التقليدية والحديثة واستشفاف ما وجدوه في النقد الأدبى من الضبابية ويروم الزناد في كل ذلك تقوية مهارة الطلاب للربط بين الاثنين ليتمكنوا من توظيف معلوماتهم كلها.

فحوى الكتاب يتوزع على ثلاث محاور: المحور الأول: علم البيان، والمحور الثانى: علم المعانى من دون الاستقصاء فى القضايا المتعلقة بالتركيب، من قضايا الإسناد والفصل والوصل والقصر والإيجاز والمساوات لما يعتقد أنها تتعلق بالنحو تعلقاً تاماً. والمحور الأخير يطوف حول البديع وشرح الصناعات البديعية.

٤. سيميائية غلاف الكتاب

اللحمة الدلالية التي يتميز بها غلاف الكتاب دروس في البلاغة العربية، هي السذاجة والمزج اللونى من دون غيرها من المميزات التي يستأهل الغلاف لثن يتميز بها. فالغلاف لا يحتوى على أية صورة خاصة إلا دائرتان مصفرتان فى الجانب الأيسر السفلى من الكتاب ودائرة بيضاء، فيها خطوط صفراء فى الجانب الأيمن فى أعلى الكتاب. وهناك ثلاثة خطوط غير متصلة باللون البنفسجى القاتم المائل إلى السواد وهناك عمود شاقولى أصفر ملاً الجانب الأيمن من الغلاف، ثم عنوان الكتاب وقع فى أوساطه بذاك اللون البنفسجى القاتم: «دروس فى البلاغة العربية»

وهناك الحرف «فی» باللون الزاهي الضبابي المتضائل وكأنه تموضع وراء شاشة العنوان، ثم الكلمة الأخيرة في العنوان «نحو رؤية جديدة». وكان هذه الرؤية المستأنفة المستجدة هي قضية مهمشة بعيدة عن الصدر وهذا ما ينطبق انطباقاً تاماً على رؤية الكاتب البلاغية فهو يجعل البلاغة التقليدية وأسسها وما لها من المرايا في الصدر ثم يوشح كلامه بالبلاغة الحديثة من دون أن تمس البلاغة التقليدية في شيء. وهذا التمايز اللوني بين الأبيض والأصفر، يوح بالتمايز الذي تتراوح فيها البلاغة بين الحديث والقديم إلا أن ملكة القديم هي الملكة الغالبة في الكتاب. أما عنوان دار نشر الكتاب ومعلمه أي المركز الثقافي العربي، فاستقر في الزاوية اليمنى السفلى في هذه المدونة. ولوحة الغلاف الخلفية تحتوي على ملخص الكتاب ورؤيته والأهداف التي يرومها في فقرتين أي ستة عشر سطراً، وهذا يعد تقنية ممتازة للفت انتباه المخاطب وتطلعه على فحوى الكتاب.

٥. التحليل الخارجي: التقييم الشكلي

معالجة الكيفيات الصورية للكتاب من أهم خطوات دراسته والتقييم الصوري للعمل يبدأ من ألف أبعديته إلى ياء الكتاب الختامية (راجع، مؤسسة خانه كتاب، ١٣٨٦: ٢٥). فالكتاب دروس في البلاغة العربية؛ نحو رؤية جديدة كتاب بلاغي شهد طبعته الأولى في سبتمبر عام ١٩٩٢ للميلاد ونشر بمركز الثقافي العربي والدار البيضاء ببيروت. قام بتأليفه الأزهر الزناد الأستاذ بجامعة التونسية، قسم اللسانيات؛ بغية سد الفجوات المتواجدة في ساحة تدريس البلاغة في مجالين: القديم والحديث.

استأنف الأزهر الزناد كتابه بـ «التصدير» من دون المقدمة وهو يوظف مصطلح «التصدير» من دون التوطئة أو التقديم وغيرها من المصطلحات الشائعة والتصدير لا يستغرق إلا صفحة واحدة ونصف، ثمة المؤلف وضع بعض النقاط التي تختص بالمقدمة في هذه المقدمة مثل الهدف والمنهج الذي اتبعته فصول الكتاب. ولم يكن التصدير المقدمة البحتة وهناك بعض العناصر لم يشر إليها الباحث في هذا التصدير الذي استبدله بالمقدمة؛ منها: أسئلة البحث، والدراسات السابقة، وفرضية البحث، وبيان المسألة وإنما احتوى على التعريف بالكتاب وأقسامه والمدخل والفصول الثلاثة.

بعد التصدير من دون أي ورقة بيضاء ينتقل المؤلف إلى المدخل في علم البلاغة، ففي هذا القسم يتصدى لبيان نشأة علم البلاغة وتطوره ومواضيعه. وهناك خلاف في كيفية الإحالة في الكتاب فهي تكون داخل نصية بالنسبة إلى المصادر العربية وهي تابعة للأصول الإحالة الهامشية في الإرجاع إلى المصادر الأجنبية، وهذه القضية أدت إلى توتر الانسجام الشكلي للكتاب من بدايته حتى نهايته.

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٢٥

بعد انتهاء المدخل يجعل الكتاب ورقة بيضاء ليستريح البال ويستعد للانتقال الموضوعي وتلى تلك الصفحة ورقة تحتوى على العنوان: «الباب الأول في علم البيان» ورقم الصفحة والعنوان يقعان في الزاوية السفلى اليسرى من الكتاب وبقلم قاتم. يتجزأ العنوان إلى جزئين بخط يمتد امتداداً أفقياً في عرض الصفحة وهذا مما يؤثر على نفسية المخاطب وكأنها آلية تشجيعية تشجع المخاطب على التركيز الأكثر والتمييز بين جزئي العنوان.

يبدأ هذا الباب من الصفحة الحادية عشرة، ويجد نهايته في الصفحة الرابعة والتسعين. تلى العنوان صفحة فارغة بيضاء تريح العين لبضع ثواني وتشغل الذهن عدة لحظات ثم الصفحة الثالثة عشرة عنونت بـ «مدخل في علم البيان» يشقه خط أسود مستعرض أعلى الصفحة بين «المدخل» و «في علم البيان». والمدخل يحتوى على تعريف علم البيان وموضوعه في صفحة ونصف. ثم الدرس الأول يتضمن التشبيه وتفصيل شتى القضايا التي تتعلق به واستأنف الكاتب كلامه في الدرس الثاني عن الحقيقة والمجاز وجميع زواياهما من دون أى فاصل أو فراغ والجدير بالذكر أنه أورد بعد كل قسم من الأقسام التي تطرق إليها، تمارين لأبأس بها ليختبر الطالبُ بها نفسه وقد يستعين في خضم تحاليليه بالرسوم البيانية التي تساعد الطالب على التلقى الجيد للموضوع واستيعابه.

وفي طيات بحثه يأتي بالملاحظات التي يراها هامة ليزيح الستار عنها وكلمة «الملاحظة» سجلت باللون القاتم كما القضايا الحاسمة والنقط المهمة التي يعنى بها المؤلف في درسه ثبتت كلها باللون الأسود القاتم، نحو ما ورد في الصفحة تسع وستين، والصفحة تسع وسبعين، والصفحة ست وثمانين.

والعنوان في الصفحة خمس وسبعين ينوء على كاهل البحث بطوله وكان بإمكان المؤلف تعويضه بأمثال هذه العبارة: «ازدواجية الاستعارة في قرينة لفظية واحدة» ثم الأبيات الشعرية والآيات القرآنية التي استشهد بها تفتقد التشكيل، هذا ما يؤدي إلى استعصاء عملية القراءة والفهم سيما للناشئين.

تتوزع الفقرات في الكتاب توزيعاً مناسباً وفواصلها لائقة تمنح للبصر فترات من الراحة كما تعطى للذهن فرصة متسعة لهضم المعلومات وقضمها. العناوين الأصلية مرقمة لكن العناوين الفرعية تفتقد الترتيب وهذا ما لا يصح في الكتابة العلمية، ثم هذه الأرقام سجلت باللغة الإنجليزية من دون أن يكون داعياً لهذا الأمر.

الباحث يحيل القارئ إلى بعض الدروس سابقة أو قادمة إلا أنه في بعض هذه الحالات لا يذكر رقم الصفحة، فمثلاً في صفحة تسع وثلاثين أحال القارئ إلى درس الاستعارة من دون تحديد الصفحة.

من المواضيع التي لا بد أن يهتم بها الناقد في نقده، هي: الأخطاء في الإملاء، الأخطاء النحوية والإرجاع والترقيم (راجع: البكري، ١٩٨٢: ٨٠-١١٣). ففيما يلي إشارة إلى أخطاء المطبعية التي فلت عن يد الكاتب:

- صفحة ثمانية وخمسين، ورد في الإحالة ص ص والصحيح هو: صص أو ص.
 - صفحة خمسة عشرة، ورد «مبدأ» والصحيح هو «المبدأ».
 - صفحة اثنان وعشرين، سجل «بهذا» والصحيح «بهذا».
 - صفحة ثلاثة وعشرين، سجل «عنهما» والصحيح «عنها».
 - صفحة ثمانية وعشرين، سجل «أخرى» والأصل «أخرى».
 - صفحة ست وثلاثين، كلمة «هي» زائدة ومخلّة بالوزن في «وإن هي نظرت» والأصل «وإن نظرت».
 - صفحة واحد وأربعين، كلمة «انسان» والصحيح «إنسان» بهمزة القطع وسقطت الهمزة من «أشقر واجردا» والصحيح «أشقر وأجرد»، و صفحة سبع وأربعين «الاحسانا» والصحيح «الإحسانا»، صفحة ثمانية وأربعين و«أحداث والاحياء» والصحيح فيها إحداث والإحياء.
 - صفحة ست وأربعين سجل «ال + رحل» والصحيح «رجل».
 - وسقطت الواو من كلمة «الألى» في صفحة اثنين وخمسين والأصل «الأولى»، و صفحة ثمانية وستين، ورد «لاءم» والصحيح «لائم».
 - صفحة تسعة بعد مئة سجل «فيه» والصحيح «فيه وبه».
- فإسقاط الهمزة والتنوين من أهم المواضيع التي يمكن وضع البنان عليها في الأخطاء المطبعية في هذا الكتاب.
- ومن السمات الشكلية البارزة لهذا العمل، هي شرح المفردات المستعصية في الهامش. فالكثير من المفردات المعقدة التي وردت في بطن النص تتفك دلالتها وتتكشف معانيها في الهامش. وهنالك بعض الآيات التي وردت في الكتاب بقيت من دون الإحالة وهي إما في التمارين وإما في صدر النص، كبيت «بيض المطايخ...» صفحة واحد وتسعين.
- أما الباب الثاني فيستوعب مساحة كبرى قياساً للفصل الأول وهو يبدأ من الصفحة الخامسة وتسعين لينتهي في الصفحة مئة وسبع وأربعين. وقد بدأ هذا الفصل بمدخل في علم المعاني؛ والكاتب وضع هذه العنونة بالجانب الأيسر الأعلى من الصفحة وتلى لفظة المدخل نقطتان للنقل (:). ويبدو هذه العلمنة ليست صحيحة. تكون هذا القسم من التعريف لعلم المعاني وبيان موضوعه.

لم يستغرق المدخل إلا صفحة وثلاث أسطر وأورد بعد المدخل في فصل المعاني درسين؛
الدرس الأول يدور حول ما يتعلق بالخبر يستغرق سبعة صفحات. وأما الدرس الثاني وهو الإنشاء
فيستوعب كمية كبرى من الصفحات قياساً لقسم الخبر أى الدرس الأول؛ إذ يبدأ من أوساط
الصفحة ١٠٥ وينتهي في الصفحة مئة وسبع وأربعين. نسقت العناوين في هذا القسم في منظومة
متساوقة متناسقة فيطرح الكاتب نوعاً من أنواع الإنشاء ثم يفصل مظاهره التركيبية ويصرح
بمعانيها إن وجدت ضرورة ويرد في أخير المطاف تمارين لأبأس بها في هذا الصدد لترتفع
الضبابية عن وجه المعاني موجودة.

تتضاءل في هذا القسم عدد الجداول والرسوم البيانية قياساً للفصل السابق.

٦. التحليل الداخلي للكتاب

يعتبر التحليل الداخلي أى دراسة الفحوى أبرز مفصل من مفاصل عملية النقد، فـ «تحليل
المحتوى أسلوب يستخدم إلى جانب أساليب أخرى لتقويم المناهج من أجل تطويرها، وهو
يعتمد على تحديد أهداف التحليل ووحدة التحليل، للتوصل إلى مدى شيوع ظاهرة أو أحد
المفاهيم، أو فكرة، أو أكثر وبعد ذلك تكون نتائج هذه العملية إلى جانب ما يتم الحصول عليه
من نتائج من خلال أساليب أخرى مؤشرات تحدد اتجاه التطوير، فيما تعد مرحلة التعليم»
(حورى، ٢٠١٠: ١٣٥).

يتألف هذا الكتاب من ثلاث محاور رئيسية:

المحور الأول يتحدث فيه الكاتب عن علم البيان وقضاياه الرئيسية بنسق خاص وسلك منتظم
وفى كل ما يتطرق إليه يرد المعنى اللغوى والاصطلاحى ويستند فيما يقوله بالمصادر الموثقة
وأمهاات الكتب البلاغية. وفى خضم هذا البحث يشير إلى مؤشرين رئيسيين هما؛ مفهوم العدول
ومفهوم «درجة الصفر». ويبين أن للكلام مستويين: مستوى المعنى أو المفهوم الذهنى قبل التلطف
هى البنية العميقة، ومستوى العبارة الظاهرة للحس سمعاً وبصراً هى البنية السطحية. يتعرض
الكاتب لحقل الدلالات المتواجدة فى الحقيقة والمجاز؛ وفى هذا القسم يسفر عن قضية بلاغية
حديثه هى أن قوام اللفظ على ثالث الدال والمدلول والمرجع. وقد كشف الزناد عن دور المقام
والقرينة فى تحليل الاستعارة، إذ هما يلعبان دوراً ريادياً فى إلقاء الكلام، والعناصر المقامية تؤثر
بالتساوى على المتلقى وهى مجموعتان كبيرتان؛ عناصر لغوية وعناصر غير لغوية. وفى نهاية
المطاف يحاول تلمس قضية التوليد فى المجاز ليبين سلة الدلالات وليبرهنها برهنة بلاغية إلا أنه
يطرح هذه القضية فى بضعة أسطر وكأنها عقيمة غير ناضجة خلافاً لما يتوقعه القارئ.

وأما المحور الثاني فسجل الزناد فيه المواضع التي تدور حول المعاني وهذا القسم يفتقد المرايا التي تتزاج بين النحو والبلاغة من الإسناد والفصل والوصل والإيجاز، ذلك أن الكاتب يعتقد فيما يعتقد أن القضايا التي تتعلق بالتركيب تخص النحو ولا تدخل حيز الدراسات البلاغية ولا في أنظمتها. فبدأ هذا الفصل بمدخل في علم المعاني وأورد بعد المدخل درسان؛ الدرس الأول وهو الخبر، يشمل تعريف الخبر وأغراضه وأنواعه. وأما الدرس الثاني وهو الإنشاء فيستوعب كمية كبرى من الصفحات قياساً للقسم الخبر. ففتح الكتاب عينه على دراسة الإنشاء وأنواعه، ومعاني الجمل الإنشائية من الاستفهام والأمر والنهي والتمني والترجي والنداء والمدح والذم والتعجب والقسم. ثم انطلت نظرتة نحو الإنشاء الإيقاعي بشتى مظاهره. والقول الأخير في المحور الثاني للكتاب هو الإنشاء الإيقاعي فالكاتب استثمر على حد قوله الفقه وعلم الكلام وكتب اللغة من البلاغة والنحو والمصادر الدرس النحوي، في توظيفه لمصطلح «الإنشاء الإيقاعي» للتركيب الإنشائية الخاصة.

والبديع هو المحور الأخير الذي راح الكلام على رطبه ويابسه في هذا الكتاب. فيشير الأزهر الزناد إلى أهم مظاهر البلاغة في الاقتباس والتضمين هي التاريخ والثقافة. ثم عكس عدسة البحث نحو الطباق، والجديد الذي يشير إليه في قضية الطباق هي المطابقة المولدة التي تسفر عنها قرائن المطابقة الأساسية.

فهذه هي المحاور الثلاثة التي أشيدت عليها أعمدة الكتاب.

٧. سجلات المحاور وإشكالياتها

هذه المحاور الثلاثة التي تبين جهود الأزهر الزناد لا تخلو من الإشكاليات والمواضع التي تتراوح بين السلب والإيجاب من ناحية الهندسة الشكلية والفحوى، وهذه النقاط تتلخص فيما يلي:

١.٧ إشكاليات الفحوى

- الأول: أنه يؤكد في التصدير على أن البلاغة تطورت في أحضان البلاغة الإسلامية تركيزاً على الحدث القرآني؛ فيجب التأكيد من صحة هذا الأمر، ذلك أننا نجد بلاغة راقية في الأشعار الجاهلية وفي النصوص غير الإسلامية ولربما تطورت أصول البلاغة ونظرياتها بعد نزول القرآن الكريم إلا أنه لاغرو من أن البلاغة كانت تتواجد في العصور الغابرة وحتى في يونان وغيرها من الحضارات التي لا تتعلق بالحضارة الإسلامية في شيء.

- حينما يتطرق الكاتب إلى إزاحة الستار عن الدراسات السابقة في التصدير يبدأ بالكتب التي عالجت البديع والبديع فيما يبدو قضية هامشية في البلاغة وكان من الأفضل أن يرد الدراسات السابقة مبتدئاً بالبيان ثم المعانى ثم البديع؛ لا أن يحصر خلفية البحث بالكتب التي عالجت البديع كقضية محورية.
- يشير الكتاب إلى أن «الجرجاني» أقام مباحث البلاغة على الأسس النفسية فى كتابه «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، والحقيقة يجب التفتيش عن الأسس التى تبناها الجرجاني فى كتابه وهى فى مظنة الشك أن تكون قائمة على أصول نفسية بل الأرجح أن تكون الأصول التى تبناها متأخمة بأصول لغوية.
- ومما يشير إليه الكتاب هو المجاز الوظيفى وهى قضية استقاها الكاتب من نتاجه التجريبي، لأن هذه القضية نوقشت فى الصف وأثارت الطلبة فى قاعة الدرس كما أشار إليه الكاتب والمجاز الوظيفى يعنى اعتبار شريحة دلالية على حسب تواتر الاستعمال أو قلته من باب الحقيقة أوالمجاز. فالتوظيف وكميياته فى هذه الزاوية هو الركن الرئيس فى تحديد كميات الشريحة، حقيقة كانت أم مجازية؛ والحق أن قضية التوظيف قضية نسبية تتفاوت بتفاوت البيئات والأفراد ولايمكن جعلها مؤشراً رئيساً لتحديد نوعية المجاز. فتتزلزل أركان المجاز الوظيفى الذى أشار إليه الكاتب إلى حد كبير. والأمثلة التى أوردتها فى هذا الإطار مثل «يد المنية» رغم كثرة تواردها، لاتزال تعدها البلاغة التقليدية مجازاً منطلقاً من التشبيه أو الاستعارة.
- يرسم الأزهر الزناد لدراسة الشرائح التشبيهية شبكة تتكون من عناصر لها علاقات وطيدة بينهما وهذه الشبكة الدلالية معدومة فى الدراسة التقليدية وهذا ما أضفى إلى الدرس البلاغى للشبيه بعداً جديداً.
- الدور الثقافى فى تلقى معنى الوحدات التشبيهية دور ريادى فى هذا الكتاب، ومن دون هذه الركيزة أى الثقافة لا يتوصل الدارس إلى وجهة دلالية صائبة، وهذا ما لم تشر إليه أمهات الكتب البلاغية التقليدية فى طيات مناقشاتها للقضايا البلاغية على ما علم. وكأن الكاتب قد تأثر بالمنهج الدرس اللغوى الحديث من أمثال التداولية.
- مصطلحات البلاغة الحديثة تتعاضد فى طيات الكتاب المدروس فـ«درجة الصفر» للغة المعيارية التى ترنو إلى «التواصل» ثم «الإنزياح» و«التشويش» و«التوليد الدلالي» من المفاهيم التى تقولبت فى أحشاء البلاغة الحديثة؛ قد وضعها الزناد فى إطار البلاغة التقليدية وهو أجاد فى إقامة الصلة بين البلاغة التقليدية والبلاغة الحديثة إلى حد كبير.

- إنه يوظف مصطلح «البات» للمرسل ومصطلح «المتقبل» للمتلقى وهما من المصطلحات التي تقل تواترها في البلاغة الحديثة. ثمة الانتباه إلى الدور الفعال للبات والمتقبل من القضايا التي تطرح في ساحة البلاغة الحديثة وتمكن المؤلف من سكبها في قارورة البلاغة التقليدية.
- يتطرق الباحث إلى قضية التناظر في التقاط المعنى وانتقاله بين البات والمتلقى، فإذا تتم شروط صحة شريحة دلالية من منظور البلاغة التقليدية، من المحتمل أن لايفى ذلك بمواصلة التواصل واستمراره استمراراً واعياً، ذلك أن الشرط الأساس في إنجاز عملية التواصل في الخطاب أياً كان هو تساوى المعنى وتطابقه عند البات والمتقبل. فوظيفة البات تقديم التركيب ووظيفة التقبل الفك عن الشيفرات الدلالية في هذا التركيب.
- ثمة الإشارة إلى البنيات السطحية والبنيات العميقة في الشرائح التشبيهية ويصرح الزناد أن البنية السطحية في تشبيه التمثيل يجوز غيابها، ذلك أن العناصر الحاضرة تحفر نقفاً إلى العناصر الغائبة فتتسد الفجوات وتتعد نطفة التفهم والاستبصار. هذه القضية أيضاً منقولة عن بلاغة الجديدة وقد ضمها الباحث إلى لحمة البلاغة التقليدية ببراعة جديدة بالتناء.
- يقول الكاتب بالرابطة العكسية المتواجدة بين الفاصلة ودرجة التخيل، فابتعاد المسافة بين المشبه والمشبه به يؤدي إلى انحسار درجة التخيل، وتقلص تلك المسافة يقابله إطلاق في درجة التخيل وفي هذا نظر، أو قل أنه خلاف ذلك، لأن الفاصلة الشاسعة بين المشبه والمشبه به لا بد أن توسع درجة التخيل، وكلما ابتعد طرفا التشبيه تبتعد وتتوسع درجة الخيال، ولا تتحطّ خلاف ما زعمه الكاتب ويبدو أن هذا الخطأ، خطأ عفوى أو الكاتب قصد من الكلام شيئاً آخر لم ننتبه إليه.
- يجب التدقيق فيما قاله الكاتب على أن العرب حددوا غايات المجاز في ثلاثة وجوه: التوسع والتوكيد والتشبيه. لأن التوسع في الدلالة يخرق دائرة المجاز التي تتعلق بعلم البيان ليجد حضوره في علم المعاني، فالتوسع الدلالي لا يتمنطق حول دائرة المجاز تمنطقاً بحتاً. ولا يكون التوكيد أداة لترسيخ المعنى في الذهن فحسب بل هنالك آليات أخرى تفيد ضبط معنى خاص في ذهن السامع منها الاستفهام، التوبيخ، النفي، وغيرها من التقنيات، والتشبيه ليس غاية في المجاز بل وسيلة من وسائل تحقيقه على ما يبدو.
- قضية الدال والمدلول والمرجع الذي يشير إليها الأزهر الزناد في الحقيقة والمجاز قضية مستجدة لم تشر إليها البلاغة التقليدية وهو يسفر عن العلاقة الاعتبائية المتواجدة في عناصر هذا التالوث ولربما هذه العلاقة لم تكن علاقة اعتبائية كما يعتقد الكاتب بل هي

تباين وتختلف إثر نقطة التبئير عند الباحث أو المتلقى، وهذه النقطة هي التي توجه العلاقات المتواجدة في هذا التالوث.

- والباحث يصرح بالآليات التي تساعد على فهم المعنى فهي عنده «السياق» و«المقام» و«الثقافة»، هذا التالوث ثالث مقبول في البلاغة التقليدية إلا أن دور المؤشر الأخير أي الثقافة يتضاءل في البلاغة القديمة بل يكاد ينعدم فيها إذ لم يحدث عنه ذكراً.

- تتواتر المصطلحات البلاغية الحديثة في طيات الكتاب وهي وردت بالشرح والتفصيل ولا يدع الباحث نقطة ضبابية سوداء في هذا المجال يقرن جميعها بمعناها الإنجليزية. وهذه الكثرة الكاثرة للمصطلحات من أمثال الاعتباط، والتوليد، والنموذج المتداول، والتعمية، والتسوير والمسور، والاستلزام، وغيرها من المصطلحات التي وردت في مكانها وبجدارة وملائمة تامة؛ كان من الأفضل أن يخص الباحث لهذه المصطلحات قائمة خاصة في الأخير من كتابه.

- الدوران، من أنواع الكنايات التي يشير إليها الكاتب ولم يبسط في شرحها فهي مبتورة غير واضحة تحتاج إلى الشرح والبسط.

- تحت عنوان «التوليد في المجاز» يتوقع المتلقى مواجهة قضية سلة الدلالات التي تعالجها البلاغة الحديثة، هي التي تكشف عن المعاني الكامنة في شريحة دلالية خاصة وهنالك يخيب توقع المتلقى ويفشل بعد أن يصطدم بستة أسطر تعالج موضوعاً مكرراً هي أن تواتر الاستعارة تزداد وتتضاعف قياساً لسائر وجوه المجاز لأن أساسها التشبيه وهو واسع المدى ممتد الآفاق. وكأن العنوان لا ينطبق أساساً مع الفحوى في هذه الفقرة.

- المؤلف يتعصب أحياناً لبلده وينحاز إليه فهو يستقى الأمثال التونسية في بيان التفاصيل؛ والواضح أن اللهجة التونسية غير معروفة لدى جميع المتلقين وهذا الأمر يؤدي إلى صعوبة عملية الفهم والاستيعاب لدى المخاطب ومن نماذج هذا الأمر ما ورد في صفحة مئة وتسع وعشرين، حيث استشهد بهذا المثل التونسي: «إلى يستنى خير من إلى يتمنى!»

- في تحديد نوعية الخبر يعتقد إذا توحدت أداة التوكيد فالخبر طلبى وإذا زادت الأدوات عن هذا فيكون الخبر إنكارياً لكن هذه قضية لا يجزم بها، وهي تتوقف على المقام والمخاطب ولربما يكون الخبر مؤكداً بتوسيط مؤشرين توكيديين ولكن السياق يحول دون اعتبار هذا الخبر خيراً إنكارياً.

- اختصر الكاتب قضية المقصدية بسطر واحد من دون أي شرح وتعليق لائق وذلك بقوله: «وبعضها مرتبط بظروف التللف وبعضها الآخر مرتبط بظروف سابقة عليه أو لاحقة له»

- (الزناد، السابق: ۱۰۶). وهذه القضية محطة نقاش طويل وفي هذا الحقل أمثلة طويلة وعريضة، أعرض عنها الكاتب وتغافل عنها والجدير ذكرها وعدم الصفح عنها.
- قول الباحث أن فعل التعجب يتضمن معنى الجعلية (راجع: السابق: ۱۳۹-۱۴۰) يحيطه الشك والريب لأن المعنى في «ما أجمل الورد» ليس «شئ جعل الورد جميلة» بل القصد من التعبير عن جملة كهذه هو إبراز التعجب، لا الإخبار عن الشئ الذي أدى إلى تجميل المتعجب منه.
- الاستلزام الماقبلي الذي وجد حضوره في طيات الكلام عن الخبر والقسم، قضية مستجدة لا تلتفت إليها البلاغة القديمة، ومن المحتمل أن تكون هذه القضية بديهية لدى بلغاء العرب القدامى فلم يمعنوا النظر فيها وانصرفوا عن البوح بها لأن التواصل لا يتم والجمل لا تكتمل إلا عبر هذا النوع من الاستلزام.
- توزيع الاستفهام إلى استفهام صدى وغير صدى وتبيين أثر التنغيم في تحويل الخبر إلى الاستفهام قضية ملحوظة أوردتها الكاتب في مكانها.
- في تعريفه للبديع يركز الأزهر الزناد على مقتضى الحال بقوله: «البديع وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة» (راجع: السابق). وينبغي التأمل في هذا المسبار، ذلك أن قضية مقتضى الحال قضية خفية فاترة في باب البديع ولا تلعب دوراً ريادياً في الوجوه البلاغية، ومن جانب آخر ألا تنافي ووضوح الدلالة بعض أغراض البديع مثل التورية ولاسيما المرشحة منها؟! لأن المخاطب يلتذ بالإبهام والإيهام وتقبح وضوح الدلالة فيها وفي كثير من الوجوه البديعية لأنها من الصناعات اللفظية والصناعة تمتاز بعدم الوضوح في نفسها فهناك شئ من التناقض في هذا الحقل.
- الأزهر الزناد يحافظ على الأطر الرئيسة للبلاغة التقليدية لكنه تمكن من أن يضيف في المواضيع اللاحقة دروس من البلاغة الجديدة إليها من دون أن تمس البلاغة القديمة بالسوء، هذا ما يميز كتابه عن سائر الكتب المتواجدة في حقل البلاغة فهي إما تشني نحو البلاغة القديمة البحتة بقضاياها المتفوقة وإما تتعلق بالبلاغة الحديثة التي ترفض الأسس البلاغية القديمة وتدسها في التراب.

٨. مكانة الكتاب

الكتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة حصيلة جهد جهيد للباحث الأزهر الزناد في حقل العلمي الأكاديمي وخبرته في التدريس؛ وتمكن الباحث من أن يحقق أمله إلى حد كبير في

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٢٣

المزج بين رؤية الحديثة والبلاغة التقليدية؛ فعلى الرغم من تواجد إشكاليات فى بعض المواضع يحق أن يكون الكتاب المدروس كتاباً دراسياً أكاديمياً، ويبدو أن هذا الكتاب حالياً يدرس فى الجامعة التونسية للمنوبة وما يرفع بمكانة هذا الكتاب هو أنه أُلّف بعدما جرب صاحبه تدريس البلاغة خلال سنوات عديدة وهو نتاج تجريبى جيد، لوحظت فيه المؤشرات الضرورية إلى حد كبير.

٩. الأسس الفلسفية والمناهج المعرفية

الأسس الفلسفية والمناهج المعرفية التى استقى منها الكاتب ليؤلف هذا الكتاب تتلخص فى التالى:

- التجربة والخبرة الشخصية طيلة التدريس.
- اللسانيات الحديثة بشتى مجالاتها من التداولية وعلم الخطاب والدراسات العرفنية وغيرها من العلوم.
- معلومات المؤلف البلاغية واسعة فى مجالى البلاغة التقليدية والبلاغة الحديثة مما أمكنه أن يحقن البلاغة الجديدة إلى قلب البلاغة التقليدية وأن يؤلف بينها.
- التعرف على الأدب الشعبى التونسى وتوظيفه فى الأمثلة والتمارين وفى بعض القضايا العلمية التى تطرق إليها.
- وفى بيان الإنشاء الإيقاعى يصرح الأزهر الزناد بأنه استنصر الفقه وعلم الكلام وكتب اللغة وهى لاشك مما أثرت على رؤاه تأثيراً مباشراً.

١٠. الرؤى البارزة فى الكتاب

أحس الكاتب بالفواصل الشاسع بين البلاغة القديمة والحديثة وأصرّ على مجابهتهما ولاسيما فى قاعات الدرس ليقرب من هذا الفاصل بل ليزيله. والأزهر الزناد يعتقد فيما يبدو أن الطلاب لابد أن يتعرفوا على وجوه التباين والتشابه بين البلاغة القديمة والحديثة ويؤكد ضمناً بأن هناك علاقة متشابكة بينهما خلاف ما يزعم بعض الدارسين. وكل الكتاب محاولة لإثبات هذه الرؤية وهذه الرؤية رؤية حيادية لا تخدش وجه الجانب العلمى الأكاديمى للكتاب.

١١. المصادر ودرجة الوثوق

من أهم المؤشرات فى تقييم الكتب دراسية كانت أم غير دراسية هى تحديد مدى درجة وثوق المصادر وكيفياتها فالكتاب دروس فى البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة يتوقع أن يشمل مصادر بلاغية فى حقلى القديم والحديث، فيشتمل الكتاب على واحد وأربعين مصدراً تغطي فيها

المصادر العربية التي تتعلق بالبلاغة التقليدية وهناك بضعة كتب تتعلق باللسانيات الحديثة باللغة العربية ثم المصادر الأجنبية تتوزع بين الفرنسية والإنجليزية وجميع المصادر كتب وهناك الانعدام التام للمجلات والمقالات أو الأطروحات والرسائل الجامعية. أما الكاتب فهو ملتزم بالأصول العلمية في إحالاته للمصادر فلا يوجد مصدر دون إحالة أو إحالة دون مصدر على الرغم من تواجد شيء من التشويش والاضطراب في أسلوب الإحالة.

١٢. مطابقة العناوين وفحوى الكتاب

العناوين وفحواها تتناسق بعضها ببعض من دون أي تشويش وهي منسجمة انسجاماً تاماً تسيطر عليها البلاغة القديمة وفي ثناياها يجد المتلقي أضواء البلاغة الحديثة، إلا أن هناك بعض الأقسام القليلة التي يكسر فيها الكاتب نطاق توقع المتلقي ويؤدي إلى فشله، في نحو كناية الدوران فهي قضية فاترة في الكتاب وكان من حقها أن تنبسط أو في قضية «تضافر الطباقي والمقابلة»، إذ يميل القارئ فيه إلى التقاط العناصر المشتركة والمتباينة بين الطباقي والمقابلة، وهذا ما لم يجده كما ينبغي له. ومن دون هذه المواضع التي انعدمت هذه المطابقة المتوقعة يمكن القول أن الأزهر الزناد أجاد إلى حد كبير في الالتزام بالعلاقة المعنوية بين الفحوى والعناوين المختارة.

١٣. علاقة النص بالمعايير الإسلامية والأصول الدينية

الكتاب كتاب بلاغي دراسي وتأتي أهمية الكتب التعليمية من جوانب؛ أهمها: أن الكتب التعليمية تعد العمود الفقري في التعليم، كما أنها تعتبر مصدراً مهماً في نقل المعرفة وانتقالها وتصبح هذه الكتب في الغالب ينبوعاً معرفياً هاماً يروى ظمناً العطشى (سعدى، ٢٠١٤: ٩١). فهذا الكتاب يساعد على فهم النصوص الدينية والمصحف الشريف خاصة، ولا يتواجد فيه فكرة أو مبنى تنافي المعايير الإسلامية بل استشهد الكاتب في بعض الأحيان بالآيات القرآنية وهذا ما يؤكد على التزام الكاتب بالمعايير الدينية إلا أن الكتاب لا يبتدئ بالبسملة ولا ينتهي بحمد الله وهذا مما يعاب عليه.

١٤. النقد النفسى للكتاب

لا يمكن تناسي الدور الذي يلعبه الكتاب في نفسية المتلقي؛ والعناية اللائقة الجديرة إلى مميزات النفسية للطلاب، من أهم المؤشرات التي تتأصل في تأليف الكتب الدراسية وتصنيفها وبهذا الصدد يصرح «كاردان» في بيان له أن الذين يقومون بمهمة تأليف الكتب الدراسية وتقييمها، لا بد أن يتعرفوا إلى حد كبير إلى الخصائص النفسية التي يتميز بها الطلاب فكلما ازدادت معرفتهم ازداد

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٢٥

تمكينهم من تصنيف كتب تلفت انتباه هؤلاء المتلقين والقارئ من الطلاب؛ إذ الطلاب في هذا المستوى يغلب عليهم طابع النقد فمن الأفضل أن تطابق الكتب الدراسية هذه، نفسيتهم وتلائمها وتُنمّي هذه الطاقة وتحث أصحابها على البحث والتدقيق (راجع: جمالي زواره، ١٣٨٨: ٢٠). ودراسة هذه الأصول تفيد الكتاب دروس في البلاغة العربية لأن كاتبه أي الأزهر الزناد يحدد المتلقين لهذا الكتاب، فهم الطلاب أو دارسي اللغة العربية في المستويات الوسطى ومن هنا تتجلى ضرورة الاهتمام بالمؤشرات النفسية للكتاب؛ وهي:

١.١٤ مدى انتباه المؤلف لنفسية المخاطب

يبدو أن المؤلف قد اعتنى بمخاطبيه وهم الطلاب إلى حد كبير وراعى جانبهم النفسى عبر توظيف تقنيات خاصة هي:

- الكتابة السهلة البسيطة الشيقة التي لا يشوبها الغموض والتعقيد؛ مما يسهل عملية القراءة لدى الطلاب ولا سيما الناشئين منهم.
- تنسيق الفقر وتنظيمها تنظيمًا ملائمًا لصعوبة الفحوى وسهولته؛ فلا يمل القارئ طول الفقر بل يجد الراحة في نفسه بعدما انتهى من استيعاب قضية بلاغية مستعصية.
- صوت الكاتب في الكتاب صوت المفرد الغائب وكأنه صوت الأستاذ الذي يدرّب تلاميذه وطلابه لاتقان المادة الدراسية، فيتماشى معهم ويكتب لهم الملاحظات من حين إلى حين لئلا تبقى لهم نقطة غامضة في استيعاب الفحوى وهو يتساءل مع من يتساءل من الطلاب وكأنه واحد منهم يدرك ما يجول في خواطرهم.
- وهو في طيات كتابه يستشهد ويأتى بالأمثلة والنماذج وهي من جيد الأشعار وجميلها مليئة بالحكم أو قصص فكاهية تروق للطلاب وتقلّ عناء الدرس وثقله الواقع على عاتقه.
- ويرد الكاتب تمارين تناسب مستوى الطالب بعد نهاية كل قضية من القضايا ليختبر الطالب نفسه وليجد مواطن ضعفه وقوته.
- يأتى الكاتب بالرسوم البيانية والأقواس التوجيهية والكتابات الرياضية ليكشف عن المعانى التي يقصد إلقاءها على الدارس في أحسن وجه.

٢.١٤ مدى ملائمة مستوى الكتاب ومستوى التعليم

يلائم الكتاب مستوى الطلاب في مرحلة الإجازة في خارج البلدان العربية ولمتعلمى اللغة ويلائم مستوى الطلاب الثانوية في البلدان العربية، إلا أن الكتاب يفتقد بعض القضايا التي

٣٦ پژوهش نامه انتقادی متون و برنامه های علوم انسانی، سال هجدهم، شماره یازدهم، بهمن ۱۳۹۷

لابد أن يتعلمها الطلاب من مثل قضية الإسناد والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والقصر وغيرها من القضايا التي يضعها الكاتب في قسم النحو تماماً. رغم صحة هذه الرؤية، فيما نعتقد من الأفضل أن يتدرب عليها الطلاب وعلى الأقل وليطلعوا عليها كيلا تكون مظلمة المعنى عندهم.

ثمة هذا الكتاب يفيد طلاب الماجستير كمصدر ثانوي، لأنه مزج قضايا البلاغة القديمة بالحديثة خير مزج ووجد نقط اصطدامهما بأحسن ما ينبغي؛ فعليه أن الكتاب دروس في البلاغة العربية يلائم إلى حد مقبول المستوى التعليمي المتعلق به.

٣.١٤ توسيع مهارات التفكير وبسطها

على الرغم من اعتقاد الكثير من الأخصائيين، أن الكتب الدراسية تضيق نطاق التفكير وتحدده؛ هنالك تقنيات خاصة تساعد على تنمية قدرات الطلاب في الخلق والإبداع هي:

- تنسيق الكتب الدراسية وتنظيمها حسب المراحل المتواجدة لحل القضايا والعقد المطروحة في الكتاب.

- تنسيق المعلومات في حلقات مفهومية متسلسلة متواصلة.

- تلازم المعلومات المتواجدة بالاستدلالات العلمية.

- لابد أن ينظر إلى الكتاب الدراسي كمصدر للمعلومات لا كمصدر للعلم (راجع: السابق: ٢٢).

المنظومة العلمية التي تتبع الأزهر الزناد خطواتها في كتابه منظومة راقية تشمل المستويات الأربعة المتوقعة من شرح المسألة وطرح العقدة وحل العقدة ثم التمارين. والمعلومات المتواجدة في الكتاب ليست مفككة العرى بل هي منسجمة انسجاماً تاماً وتتسلسل تسلسلاً منطقياً وجل القضايا العلمية التي يتطرق إليها يصحبها بالأدلة العلمية الصارمة والبراهين القاطعة، اللهم إلا القليل القليل التي فاتته فيها تلك الدقة في البرهنة.

أما الرؤية إلى الكتاب كمصدر للمعلومات لا كمصدر للعلم فقضية مسكوتة لا ينسب الكتاب حيالها بنيت شفة.

٤.١٤ دعم المهارات الإدراكية وتقويتها

الكتاب الدراسي الممتاز يمهد الأرضية المناسبة لدعم المهارات الإدراكية وتنميتها عبر التقنيات التي تموضعت في الواجهة أما التقنيات التي توسع المهارات الإدراكية حين عملية القراءة، فهي:

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٣٧

- توظيف الصور والجداول وخطاطات الصورية؛ ففي الكتاب دروس في البلاغة العربية عدد ملحوظ من الرسوم البيانية والخطاطات الصورية والأقواس التوجيهية التي تعضد عملية القراءة واستيعاب الفحوى.
- العناية بمهارات التفكير مثل أن يوجد سؤالاً في ذاكرة المتلقى والحث على مواصلة القراءة حصولاً للجواب؛ فالأسئلة الصريحة التي يبعث الطالب مباشراً وتحثه على حل المسألة قليلة لكن النص في ذاته يستثير الأسئلة في بال المتلقى ويدفعه نحو مواصلة القراءة والأزهر الزناد يدرك بعض الأسئلة ويجيب عنها فيما أسماه بالملاحظات.
- استحضار كمية ملحوظة من الأسئلة في جميع الفصول تسبب ارتقاء مستوى التعليم؛ هذه التقنية تجلّت في الكتاب في نهاية كل قضية من القضايا التي تناقش فترد تمارين لاثقة بعد كل منها.
- تلخيص الأمور الهامة في الجدول؛ تنعدم تقنية التلخيص في الكتاب وكان من الأفضل أن يأتي بملخص القول بعد كل شريحة من الشرائح المعلوماتية.
- تأطير المعلومات الهامة للكتاب؛ تنعدم هذه التقنية انعداماً تاماً في الكتاب دروس في البلاغة العربية.
- تغيير مقاس قلم الكتابة لإنشاء نشاط بصرى وتحريكه؛ توجد هذه الظاهرة في الكتاب وقد استمد بها الأزهر الزناد ليدل المخاطب إلى الأيقونات الهامة والمواضع الجديرة التي تتواجد في الكتاب وهي جديرة بأن تصبح بؤرة عناية الدارسين.
- تحديد الأهداف التعليمية للفصل في بدايته؛ لا تقع الباصرة على هذه التقنية في الكتاب والكاتب يستأنف صلب الكلام مباشراً في كل فصل من الفصول من دون أن يحدد له أهدافاً تعليمية خاصة.
- روعة فحوى الكتاب والمعلومات المتواجدة فيه للمخاطب؛ الأزهر الزناد يحاول امتزاج البلاغة التقليدية بالبلاغة الحديثة وهذه المحاولة في حد ذاتها محاولة شيقة رائعة، ثمة أنه يفعل ما يرنو إليه من دون التلويح إلى ما قصده وهذا مما يزيد روعة الكتاب ويشد نظرة المتلقى إليه.
- توزيع العناوين إلى فرعية وأصلية؛ توزعت العناوين في الكتاب بين الأصل والفرع، ما جعل النقاط المفاهيم ودركها يسيرة لدى المخاطب.

٣٨ پژوهشنامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، سال هجدهم، شماره یازدهم، بهمن ۱۳۹۷

١٥. صورة الكتاب الكلية وشموليته

تتجلى درجة الشمولية للكتاب عبر مؤشرات؛ هي احتواء الكتاب على التوطئة والهدف والفهرس والجداول أو الرسوم البيانية والتدريبات (راجع: نصر، ١٣٩١: ٦٠)؛ وهي في الكتاب المدرس تظهر كما يلي:

تبيين الهدف		المقدمة		الفهرس/المحتوى		الجداول و الرسوم و الرسوم البيانية و الخرائط			
صريحة	ضمنية	كلية	متوزعة على فصول	اجمالي	نصيلى	الجدول	الرسوم البيانية	الخرائط علمية	التوطئة
موجودة		معدومة	معدومة	معدوم	موجود	معدوم	معدومة	موجودة	موجودة
التمارين والتدريبات		الملخص		حصولية البحث و نتائجه		الفهارس		قائمة المصادر و التعريف بالكتب و التعريف بالمصطلحات	
لكل فصل	كلى	كلية	متوزعة على فصول	الاعلام	الموضوعات	المصادر			
معدوم	معدوم	معدومة	معدومة	معدومة	موجودة	موجودة	معدومة	معدومة	موجودة

١٦. الجوانب الإيجابية للكتاب

تتلخص الجوانب الإيجابية للكتاب في فكرة المزج بين البلاغة التقليدية والبلاغة الجديدة في كتاب دراسي أكاديمي من دون أن تسيطر عليه النزعة الأحادية الشخصية؛ فيتعرف الطالب بصفته مخاطباً للكتاب هذا، على زوايا اشتراكية بين البلاغة التقليدية والبلاغة الجديدة ثم الجانب الإبداعي التنظيري يتضخم عند كلامه عن المجاز الوظيفي وأعطى الكاتب أهمية لا بأس بها للتقنيات الإدراكية توسيعاً لمهارات للتعليم.

١٧. الجوانب السلبية للكتاب

من أهم ما يلفت النظر بهذا الصدد هو عدم اهتمام الكاتب بالتنسيق في كيفية الإحالة، فهي تتراوح بين داخل نصية وهامشية، ثم انتقاء مصادر تونسية في ذكر خلفية البحث وذكر شواهد تونسية التي لا يدركها إلا أصحابها؛ ثمة الأخطاء المطبعية لا بد أن تصل إلى درجة الصفر خاصة إذا اتخذ الكتاب وجهة دراسية عالمية.

١٨. نتائج البحث

توصلت هذه الدراسة المتواضعة عبر قرائتها النقدية للكتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة إلى النتائج التالية:

أولاً: الأطر الشكلية والصورة الهندسية للكتاب مقبولة إلى حد كبير، حجم الكتاب يناسب المستوى التعليمي الذي وضع الكتاب لأجله إلا أن هنالك بعض الأخطاء المطبعية تخدش النسق الصوري للكتاب ثم أسلوب الإحالة المتزاوج بين داخل نصي والهامشي يوتر الهندسة الشكلية للكتاب وبعض الآيات التواجدة وردت من دون الإحالة والآيات القرآنية أحياناً وردت من دون أن توضع في القوس المزهرى أما العناوين الفرعية والأصلية فتتحد وتتماسك في خيط منسجم حيث لا انفكاك لعرها ثمة استحضار التمارين، وتضخيم النقط الهامة، والرسوم البيانية وغيرها من التقنيات التعليمية الإدراكية التي تساعد على ترقية مستوى التعليم.

ثانياً: هذا الكتاب محاولة دمج البلاغة التقليدية في البلاغة الحديثة وعرضها على الطلاب وقد استطاع الباحث أن يقول المقولات البلاغية الجديدة في إطار البلاغة التقليدية بأحسن ما يكون؛ فمن القضايا المستحدثة التي أشار إليها الأزهر الزناد في كتابه هي قضية الدال والمدلول والمرجع، الباث والمتقبل، والعدول، والتوليد، والتعمية، والمواضعة، والاعتباط، والمسور، ودرجة الصفر، والتفاعل، والقناة، والاستلزام الماقبلي، والنص القابل، والنص المصدر؛ وهذا يدل على أن الأزهر الزناد فاز في محاولته وقدم بضاعة دسمة جديدة في مجال التحليل البلاغي من منظور مستأنف.

ثالثاً: الكتاب المدروس ككتاب دراسي يشتمل على الكثير من التقنيات لتحسين القراءة واستيعاب النص، من أمثال التمارين والرسوم البيانية وغيرها، إلا أنه يفتقد بعض المؤشرات التي تنمي المهارات الإدراكية للمتلقى فتتعدم فيه تحديد الأهداف في بدايات الفصول، والإتيان بالتلخيصات في نهاياتها، وذكر النتيجة، وأنه يفتقد المقدمة العلمية واستعراضها بالتصدير الذي لا يتضمن العناصر التي تخصّ بالمقدمة. وهنالك تنعدم الفهارس العامة في نحو؛ فهارس الأعلام وفهارس الكتب وفهارس الشواهد الشعرية. وعدد المصطلحات ملحوظ حيث يمكن وضعها في قائمة مجزأة إلا أن صاحب الكتاب تناسى هذا الجانب وتغافل عنه.

رابعاً: إلتزام الكاتب بالأمانة العلمية لا بأس بها إلا أن هناك بعض الآيات شعرية في التمارين لم يسندها إلى أصحابها ثمة الفحوى ينطبق انطباقاً تاماً مع المضامين إلا في فقرتين، والمصادر التي وظفت حوالى أربعين مصدراً تتوزع بين المصادر الأجنبية والمصادر العربية وهي من أمهات المصادر وأحدثها إلا أن العين لا تقع فيها على المقالات أو الرسائل الجامعية أو الأطروحات وهذا مما لا غبار عليه لأن الكاتب أراد توظيف عيون المصادر من دون غيرها في بحثه.

٤٠ پژوهش نامه انتقادی متون و برنامه های علوم انسانی، سال هجدهم، شماره یازدهم، بهمن ۱۳۹۷

خامساً: قلم الكاتب وأسلوبه سلس عذب رشيق لا يؤدي إلى ملل القارئ وابتعد عن الغموض والإبهام والضبابية التي تنافي الكتب العلمية وهو في توظيفه للمصطلحات العلمية يأتي بالشرح الوافي ولا يترك المتلقى بين كومة كثيفة من المصطلحات الجديدة، والتحليل التي يقدمها في كل درس من الدروس مستشفة واضحة.

سادساً: على الرغم من أن الكتاب، كتاب تعليمي دراسي ولم يصنف للغايات التنظيرية ويضعف جانب الإبداع في كتب كهذا الكتاب لكن الأزهر الزناد في كتابه «دروس في البلاغة العربية رؤية جديدة» أبدع من جانبين؛ الأول: مزج البلاغة التقليدية بالبلاغة الحديثة فيما أمكن في كتاب دراسي جامعي لأن الكتب الجامعية في غالب الأحيان تنزاح نحو القديم أو تتمايل إلى الجديد ولا تتوسط فيما بينهما والثاني: أنه أبدع في خلق بعض المصطلحات البلاغية نحو: «المجاز الوظيفي» الذي تتطلع عليه من خلال تجربته لتدريس البلاغة، هذا الإبداع بغض النظر عن مدى صحته نتاج جهد جهيد يليق بالثناء.

سابعاً: الكتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة يستأهل بأن يكون كتاباً دراسياً يدرس في الجامعات ويزداد الأمر حسناً إذا قام صاحب الكتاب بإجراء التعديلات التي وردت فيما آلف من الأخطاء المطبعية وتعديل تصميم الغلاف ثم إعادة النظر في بعض الأقسام وإلحاق بعض الشروح التي نضبت فيه التفاصيل ليعطي الكتاب أكله ضعفين وأخيراً يوجه البحث شكره للأزهر الزناد على ما بذل من جهود جبارة في سبيل تنمية اللغة العربية وتعليمها.

المصادر

ابن الرسول، سيد محمد رضا، والآخرون (١٣٩٥). «نقد وبررسی کتاب البلاغة والتطبيق»، پژوهش نامه نقد ادب عربی.

البكري، محمد حمدي (١٩٨٢). أصول نقد النصوص ونشر الكتب، الرياض: دار المريخ للنشر.

جمالی زواره، بتول، وديگران (١٣٨٨). «بررسی معیارهای روان شناختی تألیف و تدوین کتاب های درسی دانشگاهی»، مجله عیار.

حوری، عائشة (٢٠١٠). «تحليل محتوى كتب القواعد النحوية في المراحل الدراسية في الجمهورية العربية السورية»، مجلة جامعة دمشق.

خاقانی، محمد (١٣٩٥). «بررسی و نقد کتاب البلاغة وتحليل الخطاب»، پژوهش نامه نقد ادب عربی.

رضوی، سيد عباس (١٣٩٤). «نقد وبررسی کتاب طراحی آموزش اثريخش»، پژوهش نامه انتقادی متون و برنامه های علوم انسانی.

الزناد، الأزهر (١٩٩٢). دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، بيروت: المركز الثقافي العربي.

قراءة نقدية في كتاب دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ... ٤١

فاضلي، محمد (١٣٧٤). *دراسة و نقد في مسائل بلاغية هامة*، مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسی مشهد.
فضيلة، سعدى (٢٠١٤). *صادق طوس. الكتاب المدرسي للتلميذ الجزائري في المستوى الابتدائي - كتاب
القراءة للسنة الخامسة نموذجاً - دراسة تحليلية نقدية*، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب
العربي.

مؤسسة خانة كتاب (١٣٨٤). *كتاب نقد و نقد كتاب*، تهران: خانه كتاب.
نصر، أحمد رضا وآخرون (١٣٩١). «تبيين معيارهای نگارشی و ساختاری تألیف و تدوین کتاب‌های
درسی دانشگاهی رشته‌های علوم تربیتی، مشاوره و روان‌شناسی»، *نامه آموزش عالی*.

<https://sites.google.com/site/lazharzanned>

